

التليفزيون.. سارق الوقت

لا شك أن الآباء والأمهات مهتمون بالوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التليفزيون، وهم في اهتمامهم هذا يشبهون المربين تماماً، والذين لا يقلون عنهم في اهتمامهم وقلقهم. وهذا القلق بلا مرء هو موضع تفهم، آخذين في الاعتبار الوقت الطويل الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التليفزيون، وآخذين في الاعتبار - كذلك - مانعه نحن الكبار عواقب تلك المشاهدة.

وفي مناقشتي للتليفزيون - بوصفه سارقاً للوقت - سوف أذهب أبعد من مجرد هذا القلق العام، حيث سأناقش أسئلة محددة هي كالتالي:

- ١- من الذي يحكم أوقات أطفالنا ويتحكم فيها . . ؟
- ٢- كيف يشاهد الأطفال التليفزيون . . ؟
- ٣- كيف يمكن أن تكون مشاهدة «تليفزيون أفضل-Bet-ter TV» مقللة لقضاء الوقت أمام الشاشة الصغيرة . ؟

٤- وأخيراً كم الوقت الذي نعهده كافياً في مشاهدة التلفزيون . . ؟

من الأمور المسلم بها أن الأطفال الذين يتركون بلا إشراف ولا توجيه ، سوف يتجهون ببساطة إلى التلفزيون ، وبمجرد أن يفعلوا ذلك فإن انتباههم -كله أو بعضه- سوف يحتوى ويمسك به بخبرة ومهارة من جانب مقدمي البرامج الذين ينادون المشاهدين ، بين الفينة والفينة :

«لا تقترب من مفتاح التلفزيون . . فسوف نعود فوراً» ، أو امكثوا متبهرين لمشاهدة الخاتمة المثيرة» ، أو حتى «ابقوا في أماكنكم لتلقي الرسائل أو الإعلانات التالية» . . إن كل هذه العبارات -بلا شك- ذات تأثير كبير ، بل أكثر من ذلك أن نعتزف بأن برمجة التلفزيون -في أصل وضعها- قد صممت كي تبقى المشاهدين ملتصقين في مقاعدهم أمام الشاشة الصغيرة ، وعيونهم مسمرة بها Glued to the screen .

ومن هنا فإن الموضوع يتعلق -بالدرجة الأولى- بسيطرة أولياء الأمور على توجيه حياة أطفالهم ، وإنه لمن المحزن أن نقر بأنهم قد تنازلوا عن هذه السيطرة لمخططي برامج محطات التلفزيون الرئيسية ABC, CBS, NBC, PBS

وليكن معلوماً ومؤكداً أن الإنسان حين يتنازل عن السيطرة على مصير أبنائه وتوجيههم يكون من الصعب جداً استعادته تلك السيطرة من جديد .

إن التليفزيون يغري الأطفال إلى حد بعيد، وهو يستطيع أن يحتل عقولهم ويشغلها تماماً، ففي أيام السبت صباحاً*، حين يرغب الآباء والأمهات في أن يستمروا في النوم إلى وقت متأخر نجد أن برامج الكرتون التي تذاع في ذلك الوقت تشغل الأطفال، كذلك هناك ساعة أو ساعتان يترك الآباء والأمهات أبنائهم فيها أمام ذلك الجهاز، ويذهبون خلالهما للتبضع، أو لشراء حاجات الأسبوع . ونتيجة لهذه الأوضاع ولغيرها يكون الأطفال قد أُخبروا بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة بأن يسلموا أنفسهم للتليفزيون، وأُعترف - وأنا والد لأطفال اليوم - أنني أنا نفسي قد تعرضت لتلك الإغراءات في طفولتي . إن النقطة التي أريد توضيحها وإثباتها هنا هي أنه طالما ترك الآباء والأمهات أطفالهم أمام التليفزيون سواء كانوا يقصدون ذلك أم لا يقصدونه، فإن الأطفال سوف يتأثرون بذلك الجهاز العجيب . . سلباً وإيجاباً، وبهذه

* معروف أن العطلة الأسبوعية هي يوم السبت والأحد . . في أمريكا ودول الغرب عموماً . . المترجم .

الطريقة يصبح التلفزيون . . أقصد مشاهدة التلفزيون تصبح عادة سريعة التمكن من الأطفال .

هذا وإن الغالبية من الناس قد يوافقونني على أن تحكم شبكات التلفزيون الرئيسية في أوقات الأطفال يعد من الأمور المخيفة فعلاً، وبصرف النظر عن جودة البرامج وعن محتواها -مهما كانت- فإن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون ست ساعات في اليوم، أو حتى ثلاث ساعات، هؤلاء الأطفال -على وجه اليقين- قد حرموا مما يمكن أن يعده معظمنا حياة الطفولة العادية .

ورغم أن لدينا آباء وأمهات أهملوا أولادهم وتركوهم كلية لمشاهدة التلفزيون، تبقى صناعة ذلك التلفزيون ليست حرة على الإطلاق في مقابلة مسؤولياتها الاجتماعية بشكل كامل وواف، ولكن لا يزال الأمر -في نهايته- في أيدي الآباء والأمهات، وإذا ما سيطروا على أوقات أبنائهم التي يقضونها في مشاهدة التلفزيون بغض النظر عما تقرر محطات التلفزيون الرئيسية وشبكاتة أن تبث من برامج ومنوعات .

والنقطة التي أحب أن أؤكد هنا هي أنه بغض النظر عن نوعية البرامج، فإن الآباء والأمهات ليسوا في حاجة للتهديد

بخطورة آثار التلفزيون على أطفالهم فيما يتعلق بجرائم العنف والجرائم الجنسية. إن الآباء والأمهات الذين يضبطون أوقات أبنائهم في مشاهدة التلفزيون، سوف يرفضون -يقيناً- أن يجلس أبنائهم لمشاهدة برامج تضرُّ بهم، أو حتى مجرد برامج ذات نوعية هابطة.

أما كيف يشاهد الأطفال التلفزيون، فإني قد لاحظت أنهم يفعلون ذلك شأنهم شأن غيرهم من الأطفال الذين يفعلون أي شيء آخر، بطرق مختلفة ومتنوعة. وإذا ما راقبنا الأطفال في مشاهدتهم للتلفزيون فإننا سوف نرى كل أنواع النشاط التلقائي التي يقوم بها الأطفال في نشاطاتهم المختلفة.

لقد لاحظت عدداً منهم، وكانوا من صغار السن من المراهقين، فكان بعضهم يأكل وهو يشاهد التلفزيون، والبعض الآخر يتحدث في التلفون، والبعض الثالث كان يجفف شعره، في حين كان البعض الرابع يتصفح بعض المجلات. . كل ذلك كان يحدث في الوقت نفسه الذي كانوا يشاهدون فيه التلفزيون. والأمر الوحيد الذي يؤكد أنهم كانوا «يشاهدون» التلفزيون كان هو التحرك نحو الجهاز، كما لو كان الإنسان يريد إغلاقه، إذ كانت الإجابة الفورية

تأتي حالاً «هيه . . إني أشاهد ذلك البرنامج»، وكانت هذه الإجابة تتركني دائماً أتساءل متعجباً كيف لم أتنبه للشيء الواضح أمام عيني . . !!

ومن جانب آخر فإن أحد مشاهدي التلفزيون من الصغار كان يبدو وكأنه منغمس تماماً في تتبع البرنامج ذاته، ولكن حينما تحدثت إليه كانت استجابته السريعة عبارة عن حركة من يده مع تعبير بسيط من فمه يقول لي: اصمت ولا تقطع حبل تفكيري مع أحداث البرنامج، في حين كان هناك عدد آخر من المشاهدين الصغار الذين كانوا يستديرون متبهين فوراً لأي شخص يدخل عليهم الحجره.

وتأكيداً «كيفية مشاهدة» الأطفال للتلفزيون، بل حتى الكبار، تعتمد على عدد من الأمور المحيطة بهم من بينها البرامج التي يشاهدونها، والعوامل التي تكون شخصياتهم. ونقطتي التي أحب أن أوضحها هنا هي أنه ليس كل ما يوجد على الشاشة الصغيرة مسيطراً على الصغار، كما أنه قد لا يستحق أو لا يستغرق كامل انتباههم، ولكن لا يزال أطفالنا يميلون إلى ترك التلفزيون «مفتوحاً»، وبدرجة تصغر أو تكبر هم «يشاهدون» ذلك التلفزيون، وهذا الوقت من «المشاهدة

غير المركزة» هو الذي ينبغي أن نهتم به ويعيننا كثيراً.

إن التليفزيون كرفيق دائم للأطفال، وهو كـمكـون للخلفية الثقافية لهم، وهو كقاتل لأوقاتهم، وهو -كذلك- كصارف انتباههم . . . التليفزيون ككلّ أولئك، قد انتهك -خطى ثابتة متئدة- كثيراً من الأمور في حياة أطفالنا وشبابنا. لقد أصبح التليفزيون من صميم عاداتهم، وربما وصلوا معه إلى مرحلة «الإدمان»، وهنا تكمن الحقيقة المؤلمة المحزنة وهي في كيفية سماح الآباء والأمهات والتربويين بحدوث ذلك الأمر. إن التليفزيون هناك، وهو دائماً مفتوح، وبعض الأفراد دائماً في منازلنا، وهم مستمررون على مشاهدته . . . مشاهدة أي شيء، بدرجة تكبر أو تصغر.

إنني أعتقد أنه إذا كان التليفزيون يستحق المشاهدة، فإنه من الواجب أن تكون مشاهدته بطريقة جيدة، وإذا كان الأطفال مسموحاً لهم بمشاهدته، فإنه من الواجب توجيههم نحو مشاهدة «بعض البرامج»، «وليس كل البرامج». وبناء على ذلك فإن أفضل البرامج التي ينبغي أن يشاهدها الأطفال تقع مسؤوليته على عاتق أولياء الأمور بالدرجة الأولى، رغم أن المعلمين في موقع طيب يستطيعون من خلاله أن يساعدوا

أولياء الأمور في اتخاذ قراراتهم بهذا الشأن . ولنعلم جميعاً أنه بمجرد أن تظهر «عادات المشاهدة الأفضل للتلفزيون Bet-ter TV viewing habits»، وبمجرد أن تبدأ عملية التفرقة بين الغث والطيب من البرامج، وبمجرد أن تبدأ عملية الاختبار بين هذا وذاك . . . حينما يبدأ ذلك نستطيع القول بأن كثيراً من المشكلات المتعلقة بذلك الجهاز والإفراط في مشاهدته سوف تأخذ في الاختفاء .

إن أهدافنا ينبغي أن تتركز في مساعدة الأطفال على كيفية التعامل مع التلفزيون في حياتهم، بحيث يقل الوقت الذي يقضونه أمامه، ويقل كذلك الاستمرار في المشاهدة، وبحيث يكون هناك اختبار للمواد أو البرامج التي يشاهدونها، وسوف نتعرض في نهاية هذا الكتاب لعدد من الاقتراحات التي سنقدمها لأولياء الأمور والمعلمين الذين يريدون أن يحققوا الأهداف السابقة، ولكني أريد هنا أن أناقش كيف يمكن أن تحل العادات الطيبة في مشاهدة التلفزيون محل العادات السيئة .

وأنا -مدرساً للأدب- أجد أن قراءة قصة Jane Eyre ليسوا هم قراءة Harlequin Romances . (لا زلت أذكر أن

سخرية أطفالى الأولى من وجبات الهمبورجر، وعبارتهم التقليدية «همبورجر أخرى . . . Hamburger Again» جاءت بعد أن تناولوا وجبة طيبة من شرائح اللحم الجيد). إننا جميعاً نتذكر ونقدر الخبرات ذات النوعية الجيدة في حياتنا علماً أن هذه الخبرات الجيدة أو الطيبة لا تأتي بسهولة ويسر في الحياة، ولكن من خلال إصرارنا على النوعية وعلى الامتياز، سواء أكان ذلك في مجال الفن أم الطعام، أم حتى في أعمال الصين الرقيقة، إلا أنه يبدو بعيد الاحتمال أن نكون راضين تماماً عن التوسط أو الاعتدال في شؤون حياتنا اليومية، وهذا هو الوضع تقريباً للأطفال والتلفزيون.

هذا وإن أفضل ما أستطيع استخدامه في شرح ما أريد هو من خبرتي الشخصية، وبخاصة فيما أحسه تجاه هذا الموضوع، فعلى مدار الخمس عشرة سنة الأخيرة، أصبحت أكثر وعياً فيما يتعلق بأسلوبي وأساليب الآخرين في استخدام التلفزيون، ومن البداية أقول إنني أستمتع حقاً بالتلفزيون، واستمتعت به خلال ذلك الماضي، ولكن كلما أكثر التفكير فيما أشاهد أصبحت أقل ميلاً في مشاهدته. وكلما شاهدته أقل توقعت أن أحصل على خبرات جديدة في كل مرة من مرات المشاهدة.

إن التليفزيون العادي لا يمنحني إلا أقل القليل الذي يستثير أفكاره ويتحداها، وقليل مما يقدم فيه يوقظ عواطف أو يحركها، وكذلك هو قليلاً ما يكون قادراً على إبقاء انتباهي مشدوداً نحوه، كما أنه نادراً ما يعطيني معلومات جيدة، كما أنه ليس بقادر على جعلني أكثر إنسانية مما أنا. ونتيجة لذلك نموت وليس لدي كثير صبر على التليفزيون، رافض لمشاهدة معظم ما يعرض على شاشته، أو في الأقل رافض لأن أشاهد أسخف العروض أكثر من مرة واحدة. إنني شديد المغالاة في توقعاتي، لذا هي ذات نوعية عالية.

ومن جانبي أعتقد أنني قد استفدت كثيراً من مشاهدتي للتمثيلات الآتية «Hill Street Blues»، «Norman Lear's»، «All in the Family» والتي ساعدتني حقاً على أن أكون ناضجاً في أحكامي وفهمي للآخرين، في حين حرك الدموع في عيني الفيلم التليفزيوني «Massada»، في حين دفعني للإغراق في الضحك ما كتبه مؤلف «Mary Tyler Moore Show»، وهو نفس ما تفعله التمثيلية الجيدة بأشخاصها المتقنين لأدوارهم. وأقصد تمثيلية «Family Ties».

وحتى أعمم خبرتي على عدد من معارفي الكبار في السن مثلي، أستطيع القول: إن هؤلاء الذين ينتقون ما يشاهدون على شاشة التلفزيون يجلسون أمامه فترات قليلة. إنهم مثلي تماماً، يميلون لمشاهدة برنامج طيب منتقى بعناية، وهم يتوقعون مما يشاهدون فوائد طيبة، وتجدهم دائماً يتحدثون بإعجاب عما يشاهدون. وعلى أية حال لم أسمع واحداً من هذه العينة الناضجة من الأصدقاء وهو يتحدث عن برامج مثل: «Three's Company»، أو «Love Boat» أو «Laverne and Shirley»، مع أنني واثق أن هناك ملايين من كبار السن يشاهدون هذه العروض، وأن لديهم تأكيداً ما يقولون عنها تسويغاً لمشاهدتهم إياها*.

وأريد الآن أن أختتم هذا الجانب بالحديث في موضوع أخير فيه، وهو «ما المقدار الذي يكفي من مشاهدة التلفزيون». . .؟؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد على العناصر المهمة الآتية:

* هذه العروض الثلاثة التي أشار إليها المؤلف من العروض اليومية الدائمة في شبكات التلفزيون الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتدور كلها حول مواقف مفتعلة، وأحياناً تافهة ولا معنى لها، ولكنها في أغلبها تحاول إضحك المشاهد بأية طريقة، وبعض حلقاتها هابطة إلى حد الإسفاف. . .
المترجم .

- من الذي نريد أن نعهد إليه بتنشئة أطفالنا . ؟
- ماذا نريد من أبنائنا أن يكونوا . . أو أن يصبحوا . ؟
- ما الدور الذي نريد من التلفزيون أن يؤديه في حياتنا . ؟

**إننا إذا كنا نشاهد برامج تليفزيونية متوسطة ومعتدلة ،
ونسلمح لأبنائنا بمشاهدتها ، فإننا في نفس الوقت نؤكد على
هذا المعنى في شخصياتهم ، أي التوسط والاعتدال .**

أما تحديد القدر الكافي بشكل قاطع من مشاهدة التلفزيون للأطفال ، فإننا ينبغي أن نبدأ باستكشاف المقدار «الجيد» من البرامج على التلفزيون والذي قد نسمح لأبنائنا بمشاهدته . وطبعاً لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال لكل أسرة أمريكية ، ولكنني في الوقت ذاته أعتقد أن مجرد طرح السؤال والتفكير فيه شيء إيجابي ، وكان علينا أن نفكر فيه منذ زمن بعيد خطوة أولى على الطريق .

وإذا كان الآباء والأمهات ومعهم التربويون يريدون أن يكون لهم دور مباشر في مساعدة الأطفال على النمو ، فإن عليهم أن يلتقوا معاً في محاولة جادة لاستعادة الأطفال الذين تركناهم ، أو بمعنى أصح «أهملناهم» أمام التلفزيون .

كما أن عليهم أن يجلسوا سوياً كي يخططوا حتى لا يتكرر -
في المستقبل - مشهد الأطفال الذين نهملهم أمام ذلك
الجهاز. إننا حين نساعد الأطفال كي يتعلموا المشاهدة التي
ينتقون فيها ما يشاهدون، ويميزون في ذلك بين الطيب
والرديء، حينما نفعل ذلك إنما نساعدهم على أن يتعلموا
كيف يشاهدون قدرأ أقل من برامج التلفزيون، وعلى أن
يروا الأشياء بعمق أكثر مما يفعلون الآن، وأنا أتصور أن خطة
مثل هذه رغم بساطتها قد تستحق التجربة والمحاولة، نظراً لما
تنطوي عليه من فائدة.